دراسة مقارنة للحرية في شعر إيليا أبي ماضي ومحمد تقي بهار

الباحث. مهين اقدامي

أ.د. محمود شكيب (مسؤول المكاتبات)

جامعة الحرة الإسلامية/ فرع اللغة العربية وآدابها/ إيران

A Comparative Study of Liberalism in the Poetrylaia Eliya Abumazi and Mohammad Taghi Bahar

Researcher. Muhaimin Eqdami

m.eghdami22@gmail.com

Prof.Dr. Mahmud Shkeib (Head of Stationery)

anavidi@ut.ac.ir

Islamic Free University\ Arabic Language and Literature\ Iran

Abstract

The association of cultures as a new and controversial subject in the context of comparative literature in several languages can be traced. The comparative study of liberation in the poems of Eliya Abumazi and Mohammad Taghi Bahar is one of the most striking subjects in this field of literature Eliya Abumazi and Malik al-Shira' Bahar are among the great poets of Lebanon and Iran in the two constitutional and political periods. Considering that the comparative study of the concept of freedom leads to the discovery and identification of new findings from the conjunction of literature with the political and social conditions of Iran and Arab countries ،especially Lebanon ، In this article ،we began to discuss the concept in the poems of both poets and to discuss their differences and their contradictions.

The study of poetry samples of both poets using descriptive-analytic method indicates that Despite some differences ،there are many common themes in their thinking One of the spring's views on praising the heroes is national and patriotic freedom. While it is an internationalist view. The praise of the freedom-seekers is one of the phenomena of the liberation of both poets. Social freedom in the spring poetry is more intense than the abominable.

Keywords: Poetry ،Freedom ،Eliya Abumazi ،Malek al-Shaara Bahar.

الملخص

يُعتبر موضوع ارتباط الثقافات واحداً من المواضيع المثيرة والجديرة للدراسة والبحث في مجال الأدب المقارن. إنَّ دراسة مقارنة للحرية في شعر إيليا أبي ماضي وملك الشعراء بهار من المواضيع القابلة للطرح والمناقشة في هذا المجال. يُعدّ ايليا أبو ماضي وملك الشعراء بهار من الشعراء الكبار في لبنان وإيران في عصري الدستورية والنهضة. بالنظرا إلى أن دراسة المقارنة لمفهوم الحرية تؤدي إلى كشف ومعرفة النتائج والمعطيات الجديدة في مجال ارتباط الأدب بالأوضاع السياسية والاجتماعية لإيران والدول العربية سيما لبنان، نسعى نحن في هذه المقالة أن نستعرض مفهوم الحرية في أشعار إيليا أبي ماضي وملك الشعراء بهار من خلال البحث والمناقشة وتبيين نقاط الاختلاف والاشتراك فيما بينهما.

إن دراسة النماذج الشعرية للشاعرين من خلال المنهج الوصفي التحليلي تدل على أن هناك مضامين مشتركه كثيرة في تفكيرهما مع وجود بعض الاختلافات، منها أن نظرة بهار في مجال تمجيد أبطال الحرية وطنية وقومية بحتة والحال هذه أن نظرة أبي ماضي عابرة للحدود الوطنية. الإشادة بدعاة الحرية ومدحهم إحدى مظاهر التحررية عند الشاعرين. إحدى مطالب بهار وأبي ماضي هي التخلص من سيطرة القمع من أجل حرية التعبير.

الكلمات المفتاحية: الأدب المقارن، الحرية، ايليا أبو ماضي، ملك الشعراء بهار.

1- المقدمة:

الأدب المقارن هو واحد من أهم المناهج الأدبية التي لها مكانة خاصة بين العلماء. هذا النوع الأدبي قادر على قياس وتحليل الأعمال الأدبية لمختلف الدول على مستوى المحتوى والمضمون. وسنسعى في هذه المقالة بتركيز على المدرسة الأمريكية للأدب المقارن إلى مقارنة مفهوم الحرية لدى مالك الشعراء بهار وإيليا أبي ماضي.

إن تاريخ الروابط والعلاقات الثقافية بين إيران والدول العربية يرجع إلى الستوات القديمة جدا وذلك بسبب موقعهم الجغرافي والمعتقدات الاسلامية الغنية والمشتركة فيما بينهم. ومن ناحية أخرى فإن التغييرات والأحداث الاجتماعية والسياسية في العالم في الوقت الراهن والتي أثرت بدورها على المجتمعين الإيراني والعربي، كان لها أثر مباشر على الادب كما أنّ التيارات الشعرية لم تبق بمعزل عن هذه التغييرات والتأثيرات. سنحاول في هذا المقال ومن زاوية المدرسة الأدبية المقارنة الأمريكية والنقد الاجتماعي إجراء مقارنة لمفهوم الحرية في شعر أبي ماضي وبهار.

تَحدُث التغييرات الأدبية في أي مجتمع نتيجة للتغييرات السياسية والاجتماعية لهذا المجتمع وتبعاً لحاجات الشعب في ذلك الوقت، وتحول الشعر في العالم العربي قد بدأ منذ عام 1798م مع بداية عصر النهضة في العالم العربي ووصل هذا الشعر ذروته في بداية القرن العشرين وأما تاريخ تحول الشعر الإيراني في العصر الجديد فيعود الى أيام النهضة الدستورية عام 1285 هـ.ش / 1905م. تتشابه الأوضاع الاجتماعية والسياسية بين إيران والعرب في تلك الأيام بسبب الأوضاع والظروف الأجتماعية المشتركة، ودخلت الدول العربية وإيران إثر ظهور العوامل الاجتماعية والثقافية مرحلة جديدة وإن الدخول إلى المرحلة الجديدة تتطلب بيان جديد ولغة مختلفة؛ هكذا تحول الأدب من شكلها التقليدي القديم إلى شكلها الحالي الجديد وتجاوز المراحل الخاصة واختبر الأنواع المختلفة.

في بداية التحول الشعر في إيران والعالم العربي، يلعب كلا التقليد والحداثة جنباً الى جنب. فقد كان الشكل القديم مسيطراً على الشعر، وكان الإبداع والتجدد يحدث في مجال المضمون والمحتوى فقط وراحت اللغة تتأثر وتتطور وتتجدد بشكل تدريجي، وأوجد هذا المنهج في نهاية المطاف تحولاً أساسياً في الشعر. في الواقع وفي ظل هذه الظروف الجديدة وفي النزاع بين الحديث والقديم، كان عدم انسجام اللغة والقوالب الشعرية القديمة لبيان المفاهيم والمضامين الجديدة أدى إلى ظهور لغة وشكل جديد للشعر.

في زخم هذه التحولات، تحول شعر النهضة الى حامل لواء المجتمع المتجدّد وأصبح الناس في عصر النهضة على درايةٍ أكثر بحقوقهم من أى زمان آخر، وتشكّلت الحريات السياسية والاجتماعية والثقافية، وأعلن بالوجود الجمعيات والأحزاب المختلفة في المجتمع، وانصرفت للقيام بالنشاطات الثقافية والاجتماعية. وعلى هذا النحو المتماشي والمشابه للتغييرات الأدبية في العالم الغربي، ونتيجةً للتحولات الحاصلة في ثقافة العرب وإيران، فقد تغير الشعر المعاصر في هاتين الثقافتين.

وعلى ضوء انتقال المجتمع من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث فيما يخصّ بالأدب الفارسي، ظهر شعر ملك الشعراء بهار المشبع بالتوجهات السياسية الداعية للحرية. وبعد أن تحول المجتمع بشكل سريع من التقليدي الى الحداثة، تبعه بعد ذلك تغييرات في طريقة الحياة وحضور أكبر وأشمل للشعب في المجتمع.ظهور الشعراء بعد ملك الشعراء بهار يدل دلالة واضحة على هذا التطور.

أما فيما يخصّ بالأدب العربي فيمكن أن نعتبر ايليا أبا ماضي تحولا عظيما في الشعر، أنَّ الشاعر ايليا أبا ماضي قد تطرّق إلى المواضيع الفلسفية والروحية بشكل أكبر بالنسبة إلى الشعراء العرب الأخرين. النقطة المهمة في مجال التغييرات والتحولات الأدبية خاصة التحولات الأدبية فيما بين الثقافة الإيرانية والعربية هي أن على أثر انتقال المجتمع من التقليدي الى الحداثة الشعر أيضاً واحد من الأجزاء الاخرى للمجتمع التي كانت عرضةً للتغيّر والتبدّل من الشعر القديم التقليدي الى الشعر الحديث. فيمكن اعتبار أن الشعر المعاصر هو وليد هذا التغيير والتحوّل الذي حصل نتيجة لحاجات وضرورات المجتمع.

يمكن القول أن التحول الشامل للأدب وخاصة الشعر يرتبط بشكل مباشر بالحاجات الأساسية للمجتمع والتحولات اللاحقة لهذه الحاجات والتحولات المتعلقة بكل شاعر، وفي هذا الصدد يمكن دراسة تيارات الشعر المعاصر لإيران والعرب. مع التأمل

العميقة في شعر إيليا أبي ماضي وبهار نستطيع الوصول إلى العناصر المشتركة من أجل المقارنة بينهما؛ العناصر التي قد تشكلت نتيجة للظروف التاريخية والاجتماعية لكل شاعر وثقافته.

2- بيان المسألة:

نظرا إلى إن مفهوم الحرية ومظاهرها كواحد من أهم المفاهيم الجديدة للأدب المعاصر في إيران والعرب، تساعدنا على فهم وإدراك أفضل لأشعار الشاعرين وتشخيص أوجه الاختلاف والاشتراك فيما بينهم نقصد فة هذه المقالة أن نبحث ونناقش هذا المفهوم بشكل مقارنة في شعر كلا الشاعرين صاحبي الاسلوب والرؤى المشتركة. يعتبر هذا المبحث ذات أهمية من حيث دراسة ومعرفة الشعر العربي والفارسي المعاصر لأن معرفة الشعر العربي والفارسي المعاصر يساعد في تحقيق التضامن والتلاؤم بين الثقافتين العربية والفارسية وبهذه الطريقة يتم اعطاء نظرة جديدة للمفاهيم الاساسية مثل الحرية في العالم العربي وإيران في الميدان السياسي والاجتماعي.

3- أسئلة البحث:

1 – في ضِمنَ أي العناصر تمّ تصنيف مفهوم الحرية في المضامين السياسية والاجتماعية المشتركة في شعر بهار وأبي ماضي ؟

2 – ما هي أوجه الاختلاف والاشتراك لمفهوم الحرية في نظرة هذين الشاعرين ؟

3 – هل تشكلت وجهة نظر أبي ماضي وبهار بالنسبة لمفهوم الحرية بصورة ذاتية فردية ام أنها أخذت شكلاً اجتماعياً ومتجدداً بمرور الزمن ؟

4- فرضيات البحث:

قد تم تصنيف الحرية المرجوة من قبل كلا الشاعرين ضمن إطار مقولات مثل الحرية السياسية والحرية الوطنية.يعتبر بهار أكثر ولعاً واهتماماً من إبى ماضي بالحرية السياسية.كانت حرية كلا الشاعرين تحت تأثير موجة الحرية والحركات التحريرية في تلك الفترة.

5- خلفية البحث:

إلى الآن لم يتم إجراء أي بحثٍ مستقل في مجال دراسة مفهوم الحرية في أشعار هذين الشاعرين. وأكثر من ذلك فإن الأبحاث والدراسات المرتبطة بهذا المفهوم قليلةٌ للغاية. وبسبب العوامل الفكرية والشعرية المشتركة والمتشابهة لملك الشعراء بهار مع أحمد شوقي، الجواهري، أحمد صافي النجفي، معروف الرصافي والزهاوي، فإن أغلب البحوث والدراسات المقارنة التي يكون ملك الشعراء بهار أحد جانبيها تميل أكثر للمقارنة مع الشعراء الآنف ذكرهم، وإنّ ميدان البحث والتحقيق خالياً الى حدٍ ما من البحوث والدراسات التي قارنت بين بهار وايليا إبى ماضي. نورد فيما يلي فهرساً للدراسات والأبحاث التي تركّزت حول دراسة شعر ملك الشعراء بهار مع واحد من الشعراء العرب:

1- أطروحة «نقد ودراسة مقارنة لمسائل المرأة في أشعار أحمد شوقي وبهار والجواهري وشهريار لمجتبى شاهسوني. 2- رسالة «دراسة شعر ملك الشعراء بهار (شاعر إيران المعاصر) وأمير الشعراء أحمد شوقي» لسمية فرزانة. 3- رسالة «دراسة مقارنة للآراء السياسية لأحمد شوقي وبهار» ليوسف ابراهيمي. 4- رسالة «دراسة مقارنة لحب الوطن في أشعار ملك الشعراء بهار وإيليا إبى ماضي» لقادر فخري.

كما يوجد عدة مقالات في هذا المجال يمكن الإشارة إليها:

1- دراسة مقارنة للمضامين الاجتماعية في شعر ملك الشعراء بهار وأحمد صافي لمعصومة شبستري، المجلة الفصلية للأدب المقارن، 1394 هـ.ش / 2016 م. 2- دراسة مقارنة للمشاهد الوجودية للمرأة في شعر أحمد شوقي وبهار، معهد الدراسات الإنسانية والدراسات الثقافية، اسفند 1389 هـ.ش / آذار 2011. وبالنظر إلى ما سبق ذكره، فإنه لم تكن هناك أية بحوث محددة حول المنهج المقارن في مجال مفهوم الحرية بين الشاعرين بهار وإيليا أبي ماضي.

6- الحرية ومفهومها:

طُرحت على مر التاريخ تعاريف مختلفة ومتنوعة لكلمة الحرية ولكن يدّعي الكاتبان أن الحرية التي يقصدها كلا الشاعرين هى وثيقة الصلة مع مفهوم الحرية التي تمت مناقشتها ودراستها في تاريخ الثورة الفرنسية. لهذا السبب سيتم في وقت لاحق الإشارة بشكل مختصر إلى آراء روسو في مجال الحرية.

الحرية هي الكلمة الفارسية المشتقة من الجذر البهلوي (آزات) بمعنى الحر وكريم الأصل والفتى وتدل على مفهوم فقدان القصور الذاتي وتجنب القيود والعبودية والمآزق.[1] إنّ مفهوم الحرية أحد المفاهيم الأكثر أهميةً للإستاذ المثقف جان جاك روسو. ولكن هذه الكلمة بعد روسو من خلال اتخاذ مجموعة من اللواحق مثل الفردية والسياسية والفلسفية والاجتماعية والمدنية والدينية والسلبية والايجابية قد أخذت مفهوما أوسع من مفهوم الحرية التي كان يقصدها أو يرجوها روسو.

ولكن مما لاشك فيه أنّ كل التقاليد الفلسفية والكثير من شعراء الشرق والغرب الذين اشتهروا مطالب الحرية وطالب التحرر، يتحدثون عن الحرية التي تعود جذورها الى إطار المفهوم الذي قدمه روسو دون أن يكون لديهم أيّ علم ودراية بذلك.[2] من وجهة نظر روسو فإن الحرية هي المصير الخاص للإنسان. وربما هذا الموضوع هو وجه الاشتراك بين روسو والكثير من الشعراء العرب والإيرانيين المطالبين بالحرية. حيث يؤمن روسو بأنّ الحرية هي من أكثر ممتلكات الإنسان أهميةً. فهو يعتبر أنّ تجاهل الحرية والإعراض عنها يعني تجاهل جميع الخصائص الانسانية والمسؤوليات الأخلاقية.يشير روسو في كتاب العقد الاجتماعي إلى خاصية التناقض بين الحرية والانقياد قائلا: ولِدَ الانسان حراً، ولكنه لايزال مكبلاً بالسلاسل في كل مكان »[3] هذه الجملة واحدةً من أكثر الجمل والتعابير أهميةً في عالم السياسة سيَّما في مجال الحرية. لكن روسو نفسه يرى في نهاية المطاف في كتابه «العقد الاجتماعي» بأنَّ الحرية بمثابة الطاعة من القانون الذي وفّره البشر لأنفسهم. [4] إنَّ الشيء الذّي يريده روسو ويعتقد به هو الاستقلال الفردي معتبرا الحرية أقدس حاجات الانسان وضروریاته.

و بالاستناد إلى استنباط روسو فإنّه يتوجب علينا الوقوف في وجه العبودية والانقياد والخنوع وإن كل من لا يتوافق مع إرادة الجمهور، أي الإرادة الجماعية للشعب هو عدوّ للحرية ومعارضٌ لها. ويذكر صراحةً بأنّ الشخص الذي يكون من السادة لا يمكن له أن يكون حراً. لهذا السبب تدور الدولة والحكومة على محور الحرية. ففي العلاقات الاجتماعية فإنّه لا يحقُ لأحدٍ ما أن يعوّق حرية الأخرين، وإن الحرية بحد ذاتها ليست مدمرةً أو مخُربة.[5]

7- أبعاد ومكونات الحرية في شعر إيليا أبي ماضي وبهار

7-1) مطالبو الحرية وتمجيد الأبطال

إحدى مظاهر التحرر عند الشاعرين، هي الإشادة بمطالبو الحرية ومدحهم. فقد أنشد إيليا أبو ماضي إحدى أجمل قصائده الحماسية في الدفاع والذود عن الحزب الوطني بقيادة مصطفى كامل. وهو في هذه القصيدة يذكر أن حبه لمصر قد خالط كل وجوده وكأنه لم يكن ينتسب يوما إلى لبنان قطُّ وأن ليس له بلد سوى مصر وهو بصفته شاعر تحرري ومناضل كان يخوض في القضايا السياسية التي كان يعتقد أن استعمار بريطانيا قد جلبها لمصر ويسعى جاهدا من خلال التذكير بمنزلة «ميليسون» والقائد الشهيد«يوسف العظمة» أن يبرز الشام في فترة الإحتلال الأجنبي بطلا.

1. آراسته خو، 39:1991
2. منان، 2014م: 152 و153
3. روسو، 2012م: 15
4. عالم، 2007م: 355.
5. نفس المصدر، 357

بأبى وأُمّى فِى العِراءِ مُوَسّدُ بَعَثَ الحَياةَ مُطامِعا ورُغَابَا
لمّا ثَوَى فى ميسلونَ تَرَنّحَت هَضباتُها وتَنَفَّسَت اَطيابُها
هَذا الذّي اشتاقَ الكَرى تَحتَ الثَّرَى كَي لا يَرى في جَلق الأغرابَا
و إِذَا نَبا العَيشُ الكَريمُ بِماجِدٍ حرٍّ رأَى المَوتَ الكَريمَ صَوَابا
دُنياك يا وَطَنَ العُروبَهِ غَابَةٌ حَشَدَت عَلَيك أَراقِمَاً وذِئابَا
فالبِس لَها ماءَ الحَديدِ مُطارِقاً و اجعَل لِسانَك مِخلباً او نابَا
لاشرعَ فى الغاباتِ اِلّا شَرعُها فَدَعِ الكلامَ شِكايةً وعِتابَا[1]

يعتقد بهار أن إحدى طرق نشر أمواج التحرر في المجتمع هي الإكبار والإجلال لمطالبو الحرية وتذكيرهم بأفضل شكل ممكن.ولذلك نراه يشيد بكبار الثورة الدستورية ودعاة الحرية في تبريز واصفهان وغيلان الذين صمدوا بوجه جور الحكومة المركزية طالبا لهؤلاء الأبطال من الله تعالى الصحة والسداد وازياد النشاط.

بخت سپهدار فرخنده بادا سردار اسعد پاينده بادا
صمصام ايران برنده بادا ضرغام دين را دل زنده بادا
ستارخان را بادا ظفريار تبريزيان را يزدان نگهدار
سالارشان را نيكو بود كار احرار را نيز دل باد بيدار[2]

يرى بهار قتل الشيخ محمد خيابانى سمة من سمات سحق حرية الإيرانيين ويعتقد أنه لو ثار دم هذا الحر المظلوم فسيقوم الإيرانيون جميا بارتداء الأكفان الحمراء:

پامال نمودند وزدودند وستودند آزادى ايران ومسلمانى ايران

كشتند بزرگان را وابقا ننمودند بر شيخ حسين وبه خيابانى ايران

گر خون خيابانى مظلوم بجوشد سرتا سر ايران كفن سرخ بپوشد[3]

وكما نشاهد فإن موقف بهار في هذا المجال وطني وقومي.فهو يكتفي بذكر الأبطال الوطنيين ودعاة الحرية الإيرانيين.لكن نظرة إبي ماضي تجاوز حدود الوطن ماجدا دعاة الحرية وشهداء الحرية المنتمين لوطن آخر.

2-7) العمل التحررى:

يرى هانا آرنت أن أعظم ما يقوم به البشر هو العمل وأن العمل يرتبط ارتباطا مباشرا بالحرية.إنه يعتقد أن العمل التحرري والعمل لأجل الحرية مقدم على الرفاهية والتنعم[4]. وعلى هذا الأساس وكما سنشاهد فيما يأتى أن أبا ماضي يقل عن بهار في نسبة العمل التحرري ويكتفي غالبا بمدح الحرية وفكرة التحرر. وفي نظرة أبي ماضي أنه يوجد في كنه أعماق كل انسان طلب للحرية وإرادة لها. ومع انعدام وجود العمل التحرري عند أبي ماضي إلا انه يدعي قد وهب نفسه وكرَّسها من أجل الحرية.فهو عاشق الحرية ولم يشغل فكره أمرٌ سواها.

فَتَنَتهُ مَحاسِنِ الحُرّيّةِ لا سُلَيمى ولا جَمالُ سُمَيّهُ

1. أبوماضى، 2005: 151
2. بهار، 1354، ج1: 150
3. نفس المنبع: 340
4. بشرية، 1386: 211

هِي أُمنيةُ الجَميعِ ولَكِن أَرهَقَتهُ الطَبيعَةُ البَشَريّة

و عَجيبٌ أن يَخلُقَ المَرءُ حُرّاً ثُمّ يأبى لنفسِه الحُرّيّة

غادة ما عَرَفَت قَلباً خَليّاً مِن هَواها حتّى القلوبِ الخَليّة[1]

لكن كما يبدو من شعر بهار أن من مستلزمات الوصول إلى الحرية ألا نفقد أملنا ولا يدبّ فينا اليأس وكذلك علينا الاستمرار مع السعي والمثابرة.والرجل التحرري الحقيقي هو من يعرف طريق الحرية ويميز بين الطريق الصواب والخطأ ويقوم بعمل تحرري.وهذا الأمر هو الذى يميز بين أبي ماضي وبهار.علاوة على ذلك فإن المثابرة وعدم فقد الأمل بجانب مواصلة الطريق وعدم العودة بعد تخطي نصف الطريق كلها يساعد المتحرر للوصول إلى غايته التي هى «الحرية» المقدسة.وبهار يعتقد بأن اكتساب العزة لا يحصل إلا من خلال المثابرة والهمة السامية.

عز وشرف به همت والا باید خواست بتقلا باید خواست

فتح وظفر به دست توانا باید خواست بمدارا باید خواست[2]

كان بهار مثابرا صامدا من أجل الوصول إلى الهدف الذي قد تعلَّق به قلبه وآمن به ايمانا كبيرا بحيث كان يقضي ليله بالآه والحسرة في كل حياته. ومن أجل هذا فقد تعرض جسده للمصائب وانصدمت روحه لكن مع هذا لم ينقص شوق الشاعر ولم تكلَّ عزيمته ولم يخُر عزمه وبقى منتظرا ذلك اليوم الذي تتحق فيه أمنيته أو يموت فيقبر ويلقي من خلق الحرية.

در عرصه‌ی گیر ودار آزادی فرسود بتن،درشت خفتانم

تیغ حدثان گسست پیوندم پیکان بلا بسفت استخوانم

ای آزادی،خجسته آزادی! از وصل تو روی برنگردانم

تا آنکه مرا به نزد خود خوانی یا آنکه ترا به نزد خود خوانم[3]

كما نلاحظ فإن بهار لم يكتفِ بمدح الحرية ووصف مناقبها فحسب بل يرتقي إلى أرفع من ذلك ويعمل من أجل تحقيقها.فهو يرى على نفسه لزاما أن يسعى بكل ما أوتى من قوة وبكل ما يملك في سبيل الحرية ولذلك نراه يبذل أغلى ما عنده وهو نفسه.ويعتقد أن بذل الروح في سبيل الحرية أجدر من العبودية للآخر.

ما باده‌ی عزت وجلالت نوشیم در راه شرف از دل واز جان کوشیم

گر در صف رزم جامه از خون پوشیم آزادی را به بندگی نفروشیم[4]

لكن أبا ماضي ينشد شعره في مناقب الحرية.وهذا الأمر مختلف تماما مع نشاط بهار من أجل الحرية وبينهما بون شاسع مضافا إلى ذلك فان أبا ماضي أكثر من بهار يخوض في النموذج الكلاسيكى أعني السيّد والسوقة أو الحاكم والسوقة.

و لكلّ مَطامعٌ وأَماني يَبذُلُ النَّفسُ دونَها للمَنِيّة

و يَراها لَدَيهِ أشرَفُ شَيءٍ و هِيَ أدنى مِن الأُكُور الدَنِيّة

1. ابوماضي، 2006: 619
2. بهار، 1354،ج2: 562
3. نفس المنبع،ج1: 326
4. نفس المنبع،ج2: 522

إنّما تَفتدَي الرّعيّة مَلِكاً باذِلاً نفسَه فِدى للرّعيّة[1]

والحق أن هذه الأبيات تدل على أنه ليس هناك سلطة تقنع بقدرة محدودة بل هي دائما تسعى بالحق او الباطل لتوسيع ما تملك من قوة إلا أن استعمال لفظ «الرعية» و«الملك» تبين مدى تعلق أبي ماضي إلى الحرية بمفهومها الكلاسيكيّ. فمهموم الملك والرعية يتمضن الطاعة واستسلام الناس في قبال الملك والحاكم. والحاكم خاصة إذا استعمل في مقابل الرعية أفاد هذ المعنى وعلى هذا يمكن القول أن مفهوم الحرية عند أبي ماضي ليس له إطار واضح كما يجب وبينه وبين مفهوم الحرية عند روسو ألتي تعني المواطنة والقوانين الاجتماعية بعدٌ بعيدٌ.

3-7) الحرية الوطنية من خلال مناضلة الاستعمار.

مع انطلاقة الحرب العالمية أخذت الأفكار القومية والتحررية والإستقلالية تنمو في البلدان الشرقية وناضل الناس الاستعمار والاحتلال البريطاني على علم. وأبو ماضي في إحدى قصائده يرى أن المستعمرين يريدون النيل من البلدان العربية من خلال مؤمراتهم فمثلا حظر الصحف ونفي التحررين وإبرام العقود والاتفاقيات الاستعمارية بهدف سلب الثروات وقتل الأمم كلها من علائم الاستعمار والاحتلال.ومع ذلك الشاعر يرى أن الظلم لن يدوم وأن المستعمرين لا محالة منهزمون[2]. وأبوماضي لا يرى الولايات المتحدة بمنزلة دولة استعمارية إذ إنه قطنها وعاش ثقافتها بل يرى بأن روسيا وحلفاؤها وأصدقائها هم مستعمرون ومحتلون.

ظَلَمَ القَومُ مَن تَوَهّمَه القَومُ نَصيراً للأمَةِ الرّوسيّة

و إذا أحرَجَ الضّعافَ قويّ نسيت ضعفَها النُفوسُ الأَبيّة[3]

وفي تلك الأيام كانت فرانسا تحتل لبنان فقال قصيدة في رثاء الشهيد«ميلسون» يذكر فيها تلميحا وليس تصريحا أن فرانسه بلد أجنبي وأن أبطال لبنان يُؤثرون الموت على احتلال بلدهم من قبلها.

هذا الذّي اِشتاقَ الكَرى تَحتَ الثَّرى كَي لا يَرى في جَلقِ الأغرابا[4]

لم يغفل أبوماضي التطرق إلى القضايا الاجتماعية ومناضلة الظلم والجور.والشاعر علاوة على التطرق إلى هذه القضايا يقدم حلولا للناس فمثلا في قصيدة «الشاعر والأمة» ينقل قصة أناس كانوا في فترة من الزمن يحكمهم حاكم عادل وكان البلاد يعمه الأمن والعمران غير أنه بعد موت هذا الحاكم العادل، خلفه حاكم ظالم لم يهتم بأمور الناس.فكان الناس كل يوم يذهبون إلى قبر ذلك الحاكم العادل ويتحسرون عنده. نظرة أبي ماضي في هذه القصيدة ذات طابع قصصى انه يمعن النظر ويفكر مليا ويكشف مصدر المشكلة ويرى أن استبداد الحاكم بالحكم ليس بسبب قوة الحاكم إنما هو بسبب ضعف الناس في مناضلة الظلم.ويرى أن البكاء على مافات لا يجدى نفعا وأن الحل بيد الناس وبما يقومون به من أعمال.

خيرُ مَا يكتبُهُ ذُو مُرقِمٍ قِصَّةٌ فيها لقومٍ تَذكرَه

كانَ في ماضي الليالي أمةٌ خَلَعَ العزّ عليها حبره

يجدُ النازل في أكنافها أوجهاً ضاحكة مستبشرة

هزأ الشاعر منهم قائلا بلغ السوسُ أصولَ الشجرة

رحمة الله على أسلافكم أنهم كانوا تقاة برَرَه

1. ابوماضي، 2006: 619
2. المعوش،1997:67
3. ابوماضي، 2006: 619
4. نفس المنبع: 15

أن من تبكونه يا سادتى كالذي تشكون فيكم بَطَرَة

فاحبسوا الأدمع في آماقكم واتركوا هذى العظامَ النخرةَ

كيف لا يبغى ويطغى آمرٌ يتَّقي أشجعكم أن ينظره

وإذا الليث وهت أظفاره أنشب السنَّور فيه ظَفَره[1]

الحقيقة أن الشعر ذا الطابع القصصي، هو أحد سمات شعر شعراء المهجر.فهم من خلال استخدام الأسلوب القصصي في بعض أشعارهم يجعلون منه منصة لبيان ظروف وأحوال مجتمعاتهم[2] ويكمن مشاهدة هذا الأسلوب بشكل واضح في أبيات أبي ماضي الآنفة الذكر.

إحدى مساعى بهار الرئيسية هي القومية الإيرانية والتي يعتقد أنها تتحقق من خلال مقارعة الاستعمار. فعند اندلاع الحرب العالمية الأولى كان حاكم ايران أحمد شاه القاجاري وكانت دولة الثورة الدستورية تمر بأسوأ أحوالها. ومع بداية الحرب تدهورت أحوال ايران أكثر من ذي قبل حيث إن الأزمة المتزايدة للاقتصادية وتدهور الأحوال السياسية والتدخل العريض لروسيا وبريطانية جعلت من ايران دولة تابعة ومهزومة وبائسة وفاقدة لاستقلالها ولعبة في أيدي الأجانب. «فالأشعار المتقدة والمتحمسة لبهار في فترة الثورة الدستورية كانت تنشد وتضم معاني قيمة وذكية مما تجعل الشعب يثور ويناضل السياسة الاستعمارية»[3]. فهو من خلال إثارة الحمية عند الايرانيين يريد منهم أن يمنعوا يد الأجنبي من العبث بثروات بلادهم وأن يحفظوا شرفهم من أن ينال من قبل هؤلاء المتجاوزين.لكن مثل هذا العمل بحاجة إلى تحرك جهادي وتحرري.لذلك يطلب بهار من الناس أن يعيودوا الحرية القومية والوطنية الضائعة عبر انتفاضة وثورة مناسبة.

چند به ما دشمنان حيله طرازى كنند؟ چند به ايران زمين دسيسه بازى كنند؟

چند چو پيلان مست با ما بازى كنند؟ چند به ناموس ما دست درازى كنند؟

دست ببريدشان، گرتان غيرت بجاست ايران مال شماست، ايران مال شماست[4]

وهو مع كل إمعانه في الماضي لكنه يتطلع إلى المستقبل[5] وفي ما تبقى يزاد في تشجيع الايرانيين للتحرر.

هان اى ايرانيان، بينم محبوستان به پنجەى انگليس، به چنگل روستان

گويى در اين ميان گرفته كابوستان كز دو طرف مى برند ثروت وناموستان

در ره ناموس ومال، كوشش كردن رواست ايران مال شماست،ايران مال شماست[6]

4-7) مدح الفاتحين

أبوماضي وبهار من جانب يطردان المستعمرين ويحقرونهم ومن جانب آخر يمدحان من يعتقد أنه في مقام من يقدر على أن يكون المخلص والمنجي فأبوماضي يصف أمريكا كمنجٍ ومخلص بهذه الطريقة

1. نفس المنبع: 247 تا 431
2. جاسم محمد وآخرون2017م:12
3. موحد فرد، 1385: 59
4. بهار، 1354،ج 1: 257
5. شفيعي كدكنى،1378:262
6. بهار، 1354، ج 1:258

فلتَدُم آمريكا مَا التَطُما ما لِهذا الفَتحِ فى التّاريخِ ثانٍ
و لتَعِش رايتُها ذاتَ النُّجُومِ اجمَلُ الرّاياتِ أولَى بِالخُلودِ
وَاعتَلى النّاسُ بِه مَتنَ الهَواءِ فَهُم حَولَ الدّراري يَمرَحُون
يَمخُرُ المِنضادُ فيهم في الفَضاءِ مِثلَما يَمخُر في البَحرِ السَّفينُ
مُعجِزاتٌ ما أتُاها الأنبياءُ لا ولَم يَطمَح إليَها الأقدَمون
سَخّرَ العلمُ لَهُم حتّى الغُيوم فَهُم، مِثلَهُم، فَوقَ الّصَعيد[1]

واستغراب أبي ماضي لم يكن أيدولوجيا إلى حدٍّ ما وكان يعتقد بالفصل بين الحقول المختلفة في معرفته للغرب.الشعر المذكور يبين أنه يجب الفصل بين العلم والفلسفة والأيدلوجيا الغربية وأن ندرس كل واحد منها على حدةٍ وأن النظرة إلى الغرب على أنه شيء واحد يوصلنا إلى متاهات.وبهذه النظرة يرى أبوماضي أن علم الغرب تهميد وتوطئة للحرية.وهذا النوع من الاستغراب يختلف تماما مع استغراب أولئك الشعراء الذي عاشوا في الغرب وكانت أنفسهم تأمرهم بالسوء.ومن هذا المنطلق يرى أبوماضي أن الغرب هو الفاتح الجديد.

لكنّ الفاتحين عند بهار هم فاتحو التاريخ الوطني.وبعد مائة وعشرين سنة من السيطرة الجائرة للمغول على إيران قامت ثلة من الأحرار في بلاد خراسان بتشكيل حركة وعرفت بثورة «سربداران».أهم سمات هذه الحركة هي النفور والاشمئزار من المغول.وبما أن ديوان بهار هو كتاب الحرية[2]. فقد سعى الشاعر في قصيدة «آيين عبرت»أن يشيد بالفلاحين الأبطال والثوروين الذين ثاروا بغية الوصول إلى الحرية الوطنية والقومية وقد سماهم في قصيدته هذي بأنهم سادة أحرار ايران.

سرور احرار ايرانند، آل سربدار كز فشار ظلم آشفتند اندر سبزوار

شهر نيشابور بگرفتند وبس شهر ودیار وز دهاقين لشكرى كردند بيرون از شمار[3]

5-7) حرية التعبير

إحدى المطالب الرئيسية للشعراء المطالبين للحرية تبعا لدعاة الحرية في الثورة الفرنسية هي التخلص من سلطة القمع من أجل حرية التعبير.يبرز أبو ماضي لوعة كبيرة جراء ظلم الحكام وعلى رأس هذا الظلم انعدام الحريات وخاصة الحرية الفكرية وحرية التعبير.وهذا الإحساس المشحن بالحزن والوجع يتجلى بوضوح في قصيدة «أيها القلم».ويؤكد أبو ماضي كل التأكيد في قبال القومية بصدق أن الحياة دونما حرية ليست ممكنة. [4]

ماذا جَنَيتَ عَليهِم أَيُّها القَلَمُ وَاللَهِ ما فيكَ إِلّا النُّصحُ وَالحِكَمُ
خُلِقتَ حُرّاً كَمَوجِ البَحرِ مُندَفِعاً فَما القُيودُ وَما الأَصفادُ وَاللُجَمُ
إِن يَحبِسوا الطّائِرَ المَحكِيَّ في قَفَصٍ فَلَيسَ يُحبَسُ مِنهُ الصَّوتُ وَالنَغَمُ

1. ابوماضى، 2006: 687
2. زارع، 1386: 463
3. بهار، 1354، ج 1: 64
4. المعوش،1997: 63 و64.

مَهضومَةُ الحَقِّ لا ذَنبَ جَنَتهُ سِوى أَنَّ الحُقوقَ لَدَيها لَيسَ تَنهَضِمُ[1]

القوة السياسية وبشكلها المستبد وباقتدارها غير قادر أن لا تثير حساسية شاعر كأبي ماضي.والشاعر يعلم أن القدرة هذه بنفسها تريد الانتشار وتسعى إلى أن تسحق كل الحدود وأن تتجاوز كل السيطرات،لكن الشاعر يعي جيدا أن مثل هذه القدرة تجلب الويلات لذلك يجب السيطرة عليها عبر الصحف والمجلات والكتاب والمفكرين.

البيت الاول يشير إلى أن القلم كبح واحتواء وأن الديكتاتور هو من يريد التملص من الإحتواء والخروج عن كل السيطرات فهو يهرب من القلم ويشمئز منه.ويعتقد أبوماضي أن للإعلام قوة بحيث لا تحدوها أية حدود وهذا الأمر في زمننا يثير الإنتباه أكثر من أيّ زمان آخر. وإذا اعتقدنا أن الصحف والإعلام مظهر من المظاهر الديمقراطية ففي هذه الحالة نرى أن تحديده دقيق كل الدقة إذ إن هذا العصر عصر تكنولوجيا الإعلام والإعلام هو الذي يستطيع أن يحتوي ويسطير على كل شيء.فمثلا إذا نظرنا إلى دور شبكات التواصل الاجتماعي في إثارة الشعب العربي والثورات التي تسمى بالربيع العربي فسنجد صحة تحديد وتمييز أبي ماضي في ظهور ما يسمى «المواطن المصحفي» مما يدعونا إلى تحسين فراسته وتوقعه.

مَرَّت عَلَيها سُنونٌ كُلُّها نِقَمٌ ما كانَ أَسعَدَها لَو أَنَّها نِعَمُ

وَأَرهَقوا الصُحُفَ وَالأَقلامَ في زَمَنٍ يَكادُ يَعبُدُ فيهِ الطِّرسُ وَالقَلَمُ

إِن يَمنَعوا الصُحُفَ فينا بَثَّ لَوعَتِنا فَكُلُّنا صُحُفٌ في مِصرَ تَرتَسِمُ

إِنّا لَقَومٍ لَنا مَجدٌ سَنَذكُرُهُ ما دامَ فينا لِسانٌ ناطِقٌ وَفَمُ

كَيفَ السَبيلُ إِلى سَلوانِ رِفعَتِنا وَهيَ الَّتي تَتَمَنّى بَعضَها الأُمَمُ

يَأبى لَنا العِزُّ أَن نَرضَى المَذَلَّةَ في عَصرٍ رَأَينا بِهِ العَبدانَ تُحتَرَمُ

المَوتُ أَجمَلُ مِن عَيشٍ عَلى مَضَضٍ إِنَّ الحَياةَ بِلا حُرِّيَّةٍ عَدَمُ[2]

المصراع الأخير من الأبيات الفوقانية هو أجود وأجمل وأبدع ما جادت به قريحة شاعرنا.فالحق أن الحياة دونما حرية تساوي العدم ولا شيء والحرية ليست وسيلة بل هي غاية الحياة بل الحياة نفسها.وإنما معارضو الحرية من أجل الحطّ من شأنها والإستغلال يرونها وسيلة والحال أن الإنسان من خلال الحرية يحقق نفسه ويحصل عليها والحرية مظهر من مظاهر الحياة وطريقة من طرق الحماس والحياة.

بهار له نفس هذه الرؤية عن الحرية.وأن حرية الفكر لها نتائج سلبية وايجابية كثيرة على المجتمع ويشير بهار إلى بعض هذه النتائج قائلا:

گشت آزاد فکر واندیشه قلم ونطق وحرفت وپیشه[3]

وهو بعد ذلك يذكر إحدى نتائج الحرية: خروج حكر الدراسة والتعلم من يدي الكنيسه أو بعض الطبقات الخاصة وأنه يجب أن يكون التعلم والدراسة متاحة للجميع

پیش از این علم خاص ملا بود زندگی بسته‌ی کلیسا بود

علم‌ها زانحصار بیرون‌شد زندگی زان حصار بیرون‌شد[1]

1. ابوماضی، 2006: 364
2. نفس المنبع: 365
3. بهار، 1354،ج 2: 65

من النتائج الايجابية الأخرى لحرية الفكر والبيان هي إيضاح الأمور للناس كلهم والوقوف بوجه التعتيم الإعلامي وحقوق الاشخاص.

پرده‌ها بود بر سر هر كار پرده در گشت خامة سحار[2]

كان بهار يتألم كثيرا من التضيق في السياسة وإيقاف الصحف والتعتيم الشديد لهما من قِبَل الحاكم فهو في قصيدة بعنوان «بث الشكوى» يشكو من مما حدث قائلا: أنا دائما في النفى مادام أنه لا يوجد حرية سياسية او حرية في الصحافة، وقد أوقف شخص كمستوفي الممالك صحيفتي التي تعتبر لساني الناطق واضطرني لملازمة السكوت. وصمت بهار هذا حصيلة عدم وجود الحرية في مجتمع الصحافة والسياسة في البلاد:

از نقمت دشمنان آزادی گه در ری وگاه در خراسانم
وامروز عميد ملك شاهنشاه بسته‌است زبان گوهرافشانم[3]

8- النتائج:

بعد دراسة موضوع الدعوة إلى التحرر في شعر الشاعرين نتوصل إلى النتائج التالية:

1-نظرة بهار في مجال تمجيد أبطال الحرية وطنية وقومية بحتة والحال هذه أن نظرة أبي ماضي عابرة للحدود.

2-الإشادة بدعاة الحرية ومدحهم احدى مظاهر التحررية عند الشاعرين.

3-بهار على العكس من أبي ماضي يرى أن من لوازم الوصول إلى الحرية عدم فقد الأمل ومواصلة الطريق مع المثابرة والسعي.إلا أن ابا ماضي دائما منشغل بذكر مناقب ومحاسن الحرية.وهذا الأمر يختلف كثيرا مع عمل ونشاط بهار للحرية.

4-بهار وأبوماضي في اشعارهم عبر مناضلتهم للاستعمار يطالبون بالحرية مع هذا الفرق أن ابا ماضي من أجل عيشه في امريكا ومخالطة الثقافة المتواجدة هناك لا يرى من أمريكا أنها دولة استكبار او استعمار بل على العكس يرى من روسيا وحلفاؤها مستعمرين ومحتلين.ايضا التطرق إلى القضايا الاجتماعية ومكافحة الظلم والجور من المواضيع الاخرى التي تناولها أبو ماضي.واشعار بهار المثيرة في فترة الثورة الدستورية كانت تشجع الناس على الثورة ومناضلة السياسات الاستعمارية.

5-أبوماضي وبهار في الوقت نفسه يطردون ويحقرون الاستعمار إلا أنهم يمدحون من يرونه المنجي والمخلص فأبو ماضي يرى امريكا منجيا ومخلصا.دراسة أبي ماضي للغرب لم تكن دراسة من ناحية الأيدلوجيا إلى حد ما لذلك فهو يرى أن علم الغرب تمهيد للحرية وللوصول إليها.لكن الفاتحين عند بهار هم فاتحوالتاريخي الوطني.

6- إحدى مطالب بهار وأبي ماضي التخلص من سيطرة القمع من أجل حرية التعبير.

المصادر

1- آراسته خو، محمد،(1370)، فرهنگ اصطلاحات‌علمی-اجتماعی.تهران:نشر گستره.

2- أبوماضی، ايليا، (2006)، ديوان ايليا ابو ماضی، قدمّ له وشرحه صلاح الدين هوارى، بيروت، دارالبحار.

3- _____ (2005)، ديوان ايليا ابو ماضی، تحقيق ابراهيمشمس‌الدين، الطبعة الاولى، مؤسسة النور للمطبوعات.

4- بشيريه، حسين، (1386)، ليبراليسم ومحافظه كارى، چاپ هفتم، تهران، نشر نی.

5- بهار، محمدتقی، (1354)، ديوان اشعار، چاپ سوم، تهران، اميركبير.

6- جاسم محمد، آلاء و**زهراء أمين كريم**،(2017م)، تجربة الغربة في شعر المهجرِ: دراسة فنية، بحث تخرج مقدم الى مجلس كلية الآداب _ جامعة القادسية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة القادسية /كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

1. نفس المنبع،،ج 2: 124
2. نفس المنبع، ج1: 89
3. نفس المنبع،ج1: 245

7- روسو، ژان ژاك، (1390)، قرارد اجتماعی، ترجمه مرتضی کلانتریان، چاپ اول، تهران، نشر آگاه.
8- زارع، غلام علی، (1386)، مفهوم آزادی از دیدگاه ملك‌الشعرای بهار مجموعه مقالات یادی دوباره از بهار، به کوشش دکتر سعید بزرگ بیگدلی، چاپ نخست، تهران، موسسه‌ی تحقیقات وتوسعه‌ی علوم انسانی.
9- شفیعی کدکنی، محمدرضا، (1378)، ادبیات فارسی از عصر جامی تا روزگار ما، ترجمه‌ی حجت الله اصیل،تهران، نشر نی.
10- عالم، عبدالرحمن، (1385)، تاریخ فلسفه سیاسی غرب، عصر جدید وسده نوزدهم، چاپ نهم، تهران، دفتر مطالعات سیاسی وبین المللی، مرکز چاپ وانتشارات وزارت امور خارجه.
11- عنایت، حمید، (1353)، جهانی از خود بیگانه، تهران: خردمند.
12- المعوش، سالم، (1997)، ایلیا ابو ماضی بین الشرق والغرب فی رحلة التشرد والفلسفة والشاعرية، الطبعة، مؤسسة بحسسون.
13- منان، پی‌یر، (1394)، تاریخ فکری لیبرالیسم، ترجمه‌ی عبدالوهاب احمدی، چاپ اول، تهران، نشر آگاه.
14- موحدفر، میثم، (1385)، نغمه آزادی، پژوهشی در شعر مشروطه، تهران، سازمان میراث فرهنگی وگردشگری کشور